مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الأهـــرام
التاريخ: ١٩٧٦/٤/٢

حســـنى مبـــارك يرفض تســـلم بيـــان ســـوفيتى عن الغـــاء معاهدة الصـــداقة الســـوفيتية المصرية

رفض السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية تســـلم بيان للحكومة الســـوفيتية عن الغاء المعاهدة حمله اليه السيد نيقولاى بوليـــاكوف الســـفير السوفيتى فى القاهرة .

وكان السفير السوفيتى قد طلب أول أمس تحديد مقابلة مع السيد نائب رئيس الجمهورية لتسليمه رسالة من الحكومة السوفيتية . وعندما توجه السفير فى الموعد المحدد الى السيد حسنى مبارك فى مكتبه بقصر عابدين قدم اليه مظروفا وعندما فتحه نائب الرئيس وجد به بيانا ليس موجها الى أحد ولا يحمل الديباجة التقليدية فى الرسائل الرسمية المتبادلة بين حكومات الدول .

وقد رد السيد حسنى مبارك البيان الى السفير السوفيتى ، ورفض تسلمه حيث انه لم تكن رسالة من الحـــكومة الســـوفيتية الى رئيس الجمهورية كما انها تتضمن تدخـــلا فى شـــئون مصر الداخلية .

وقد اذاعت أمس وكالة تاس مذكرة الحكومة السوفيتية التى ينشرها «الاهرام» ضمن تعليقه .

■■ تعليق للاهرام :

قـــراءة مصريـــة للبيان السوفيتى حول الغاء المعاهدة

بصرف النظر عن لهجة التهديد التى حفلت بها مذكرة الحكومة السوفيتية الاخيرة تلك اللهجة التى كنا نتصور انها تميز فقط طابع كتابات معلقى البرافدا ، الذين يحاربون معاركهم — دائما — من خلال الصيغ المسبقة الجاهزة ، والشعارات المعلبة وليس استنادا الى حقائق الموقف أو القراءة الموضوعية للواقع ، بصـــرف النظر عن اللهجة والصياغات غير الموفقة

.. تجيء ايضا مذكرة الحكومة السوفيتية وقد تجاهلت تماما الوقائع الاساسية لمكامن الخلاف السوفيتى ـ المصرى .

☐ تقول مذكرة الحكومة السوفيتية ، ان الرأى القائل بأن انهاء معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية لن يغير كثيرا من العلاقات بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، والوضع فى الشرق الاوسط ـ رأى باطل ويتنافى مع الحقيقة » .

.. وبودنا ان نسأل هنا « الاصدقاء » السوفيت ، كيف سيغير الغاء المعاهدة من حقائق الوضع في الشرق الاوسط !

هل ينقلب الموقف السوفيتي على اعقابه ؟!

هل ـ لنا ـ ان نتوقع استنادا الى هذا التهديد المستتر ، ان يغير الاتحاد السوفيتى من مواقفه السياسية ازاء قضية الشرق الاوسط ، فيقف فى صف وبناصر التوسع الاسرائيلى .

.. لقد كنا نؤكد لشعبنا دائما ، **أن المواقف المبدأية وحدها هى التى املت هذا الموقف السوفيتى من قضية الشرق الاوسط .. ولكن مذكرة السوفيت تقول ـ الان ـ كلاما آخر .**

اننا لا نريد ان نرهق انفسنا وغيرنا فى قراءة ماوراء هذه السطور التى ترغمنا على قناعة جديدة ـ فاجعة لا نصدق ! ـ انها تقول بوضوح كامل ، ان مناصرة السوفيت لوجهة النظر العربية من قضية الشرق الاوسط تخفى وراءها اعتبارات عملية ككل الاعتبارات المصلحية والانانية التى تسير سياسات القوى الكبرى .

اذا كان الامر كذلك ، فلماذا هذه الضجة حول ورقة لم تكن تتضن واقع العلاقات بالفعل ؟

☐ تقول مذكرة الحكومة السوفيتية ايضا « ان مصر قد اصبحت على هامش النضال العربى من اجل تحرير الارض المحتلة ، بسبب الاتفاقات المنفصلة التى عقدتها مصر مع اسرائيل »

.. وبودنا ان نطرح على السوفيت هنا العديد من الاسئلة ، لكن عليهم اولا ان يراجعوا ذاكرتهم .. ان مصر لم توقع اى اتفاق سياسى مع اسرائيل ولكن مصر وقعت اتفاقين مع الولايات المتحدة الامريكية ـ الطرف الاقوى تأثيرا على اسرائيل ، ولعل هذا هو سر غضب السوفيت الاوحد لان حقائق علاقات القوى فى الشرق الاوسط ، لاتدع مجالا للشك فى ان الطرف الدولى الاقوى تأثيرا على الكيان السياسى الاسرائيلى هم الامريكيون الذين يمدونهم ـ وما زالوا يمدونهم بكل شىء ـ ابتداء من رغيف الخبز حتى طائرة الفانتوم ، ولان السوفيت انفسهم لا يرون لمشكلة الشرق الاوسط ابعد من آفاق الحل السياسى ، وتلك أزمة ما قبل أكتوبر .

.. نود ان نسأل السوفيت بعد ذلك كيف تكون مصر على هامش النضال من اجل تحرير الارض العربية ، والمساحة الاكبر من ترابها الوطنى فى سيناء لايزال محتلا . هل تركوا هم القوقاز للالمان !! لقد طرد المصريون الهكسوس والفرس والرومان والسكسون والسلاف وكل اقدام المعتدين .

.. نود ان نسأل السوفيت ، رأيهم فى هذه التغيرات ، بل التحولات التى يلمسها العالم كله فى الموقف الامريكى وفى الموقف الاوربى ، بل وفى الكيان الاسرائيلى ذاته بخصوص قضية الشرق الاوسط ، نود لو يتذكروا فى هذا المجال كيف همس القادة السوفيت فى اذن الرئيس الراحل عبد الناصر ناصحين ـ حتى من قبل مبادرة روجرز « فلتحاولوا ان تجدوا طريقا للحوار مع الامريكيين انهم الطرف القادر على ارغام اسرائيل »

.. نود ان نسأل السوفيت ثالثا ، اذا كانت سياسة الوفاق ـ التى ما زالوا يطلقون لها البخور ، على حين يهدد

كيسنجر بنفسها — قد ارغمت الاتحاد السوفيتى على ان يقنع بأن يبقى على هامش حركة التحرر العالمى ثمنا لبريق القمح الامريكى .. ان القضية مردودة على السوفيت لانهم هم الذين فتحوا باب الوفاق من أجل « المصالح المشتركة » .. نود ان يذكر السوفيت — الذين يعانون من ضعف اختيارى فى الذاكرة — بأن مكمن الخلاف السوفيتى المصرى كان فى هذا الحظر المرير الذى فرضتموه على السلاح لمصر .. اننا لم نكن نريد السلاح السوفيتى لنتباهى به فى العروض العسكرية ، وانما كنا نريده لنصون ارادة السلام القائم على العدل ، ولنجبر المعتدين على ابتلاع عدوانهم .. وهاهم السوفيت قد خذلونا .. فلاى الاسباب خذلونا ، ان عليهم ان يجيبوا على هذا السؤال ، ثم ان عليهم ان يدركوا ايضا ان مصر — حتى بالرغم منها — لايمكن ان تكون على هامش النضال برغم التضحيات الهائلة والجسورة التى قدمها شعبها ليس لان مصر هى الاكثف سكانا فقط ، لانها تملك قوات مسلحة على هذا الحجم ولكن لان تلك هى وظيفة مصر فى المكان ولان دور مصر فى النضال العربى هو مبين وجودها ، والنضال العربى الان هو نضال التنمية ، لقهر العدوان ولبناء انسان عربى افضل .

تقول مذكرة السوفيت « ان مصر تشوه كل ما فعله الاتحاد السوفيتى من اجلها » — وهذا غير حقيقى بالمرة — ربما يكون لدى البعض منا انتقادات حول اساليب التكنولوجيا التى تم نقلها من الاتحاد السوفيتى الى مصر خلال معركة تصنيعها ولكنها انتقادات يسمعها الاتحاد السوفيتى فى كل مكان بل ان السوفيت انفسهم يحاولون الان تعديل انماط انتاجهم باستعارة اساليب تكنولوجية — احدث — من العالم الغربى . وليس سرا ان معركة السوفيت الداخلية الاولى الان . هى معركة استعارة ونقل اساليب تكنولوجية جديدة خصوصا فى الصناعات الاستهلاكية والوسيطة .. فلماذا اذن هم غاضبون ، اذا سمعوا من البعض منا شيئا من هذه الانتقادات ، ان مصر الرسمية ممثلة فى قيادتها ووزير خارجيتها كانت دائما وما زالت تعلن عن شكرها بل وامتنانها لمساعدات « الاصدقاء » السوفيت ، فاين اذن وجه التشويه الا اذا كانوا يريدون منا ان نرفع كل ماهو سوفيتى الى حد القداسة — وتلك فى النهاية نظرة شوفينيه .

لاجدال فى اننا — مصر والسوفيت — نبحث سويا عن الاستعارة اساليب تكنولوجية غربية فى العمل الزراعى وفى الانشاء والتعمير ، وفى الصناعات الاستهلاكية البسيطة التى يعانى مواطننا المصرى من نقصها الرهيب وقصور جودتها ، اكثر من معاناة الرجل السوفيتى التى تصحف صحافة الغرب معاناته بأنها مازالت معاناة قاسية .

شبيه بهذا الموقف السوفيتى ، موقفهم من قضية ستالين ، كانوا هم اول من نقدوه فى المؤتمر الثانى والعشرين للحزب وعندما قامت بعض الاحزاب الشيوعية فى اوروبا الشرقية والغربية بمراجعة المواقف الستالينية داخلها غضب السوفيت وزحفت مدرعاتهم الى داخل اوروبا الشرقية لتحمى الوجه الستالينى هناك .

تقول مذكرة السوفيت اخيرا « ان الاتحاد السوفيتى لم يكن متشددا عندما طلبت مصر مؤخرا تسهيلات لسداد ديونها وان الاتحاد السوفيتى ابدى استعداده لحل هذه المسألة واضعا فى اعتباره « المصالح المتبادلة » — وان القادة المصريين يضللون الراى العام العالمى لاننا لانطالب مصر بمطالب تفوق طاقاتها »

وليسمح لنا السوفيت ان نسألهم ، لماذا لم يقولوا للراى العام العالمى كيف استجابوا للطلب المصرى ، ولماذا اصروا على التحصيل العاجل لفوائد الديون العسكرية .. ان الحكومة السوفيتية هنا تعود الى الصيغ المبهمة دون ان تواتيها

شجاعة سرد الحقائق،اننا نريد للعالم كله ان يعرف كيف اراد السوفيت مساعدتنا فى قضية الديون ، وكيف رفضنا نحن .

نشكر للسوفيت انهم اعطوناتسهيلات طويلة المدى وانهم امدونا بعدد من الصناعات الاساسية ذات الجودة العالية — ولكن السوفيت — الاصدقاء والدولة — باعوا لنا باسعار السوق العالمى . السوق الامبريالى ! .

ويبقى بعد ذلك كله السؤال الاول ، لماذا لم تذكر المذكرة السوفيتية شيئا عن قطع الغيار التى منعوها عن مصر . لماذا يحاولون ان يضعوا الجيش المصرى وهو الجيش الوطنى على طول تاريخه فى موضع حرج ، وهم الذين يعلنون كل يوم ان قضيته عادلة ! لماذا يريدون لسلاحه ان يتحول الى كتل من حديد صدىء ولمصلحة من يتحول سلاح الجيش المصرى الى كتل من حديد صدى .

ثم لماذا التزمت الحكومة السوفيتية الصمت التام حول واقعة الهند المريرة عندما ارغم السوفيت الهند اقرب الشعوب الصديقة لمصر على ان ترفض عبرة الطائرات المصرية فى مصانعها .لقد مرت من فوق رؤوسنا اطنان السلاح الى الهند وربما هذه المصانع ذاتها..ان اندیرا لم تنس باليقين .

ان الحكومة السوفيتية تلتزم الصمت الكامل هنا ، لسبب واحد هو انها لاتستطيع ان تدارى هذا الموقف « الامبريالى » — وعذرا اذا استخدمنا ذات الكلمات ، لا تستطيع ان تدارى خشونة الموقف وبشاعته تحت اى من القفازات الناعمة ، ان الموقف السوفيتى هنا غير قابل لاى تبرير ، لذلك التزموا بالصمت .

اجدى للسوفيت ان يراجعوا مواقفهم وان يضعوا فى اعتبارهم ان العلاقات الصحيحة والصحية هى التى تدعم الصداقات لا الاوراق والمعاهدات،واجدى للسوفيت ان يحسموا داخلهم القضية الاساسية التى هى مصدر كل تناقض فى مواقفهم ، والتى هى أس المشاكل اجدى لهم ان يجيبوا لانفسهم على هذا السؤال — هل تصبح مصالح الانانية مصالح السيطرة والنفوذ هى اساس علاقاتهم بمصر وبالعالم الثالث .. لو ان الامر كذلك وهو يبدو كذلك بالفعل ، فلماذا هم غاضبون ، اذا عاملت مصر السوفيت على اساس انهم مجرد قوى عالمية كبيرة فى عالم يصطرع على النفوذ.

ان على السوفيت ان يحذروا خطواتهم جيدا ، لانه يبدو من بيانهم المعلن فى تاس وكأنهم يريدون أن ابحثوا التعاون بين البلدين .. ضين جديدة !. ان عليهم ان لايزرعوا بذور الكراهية اذا كانت المياه قد ذهبت الان بعيدا من شجرة الصداقة .. وليدرك الشعب السوفيتى ذاته اننا لن ننسى تعاونه ، لن ننسى ماقدمه .. لن تكون مصر ابدا قاعدة للعدوان على مزارع سوفيتى فى حقله ، او عامل فى مصنعه ، لان مصر لن تكون الا فى ايدى ابنائها ولان مصر تريد دائما استقلال وحرية قرارها .